

210315 - لماذا صعد النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى الواهبة نفسها له ؟

السؤال

رُوي عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال : " جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت يا رسول الله : أريد أن أهب نفسي لك لتتزوجني ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليها من الأعلى إلى الأسفل ، ثم خفض رأسه وصمت..الحديث . فما السبب الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليها من الأعلى إلى الأسفل ، ثم يخفض رأسه ؟ ، ولماذا لم يتزوجها ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

روى البخاري (5030) ، ومسلم (1425) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : " أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهْبَ لَكَ نَفْسِي ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَعَدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ يَقْضَ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَرَوَّجْنِيهَا ، فَقَالَ: (هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟) ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (اذْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ فَانْظُرِي هَلْ تَجِدُ شَيْئًا ؟) ، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا ، قَالَ: (انْظُرِي وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ) ، فَذَهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ ، فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي - قَالَ سَهْلٌ : مَا لَهُ رِذَاءٌ - فَلَهَا نِصْفُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ ، إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ شَيْءٌ ؟) ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ ، ثُمَّ قَامَ فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّيًا ، فَأَمَرَ بِهِ فُدْعِيَ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: (مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟) ، قَالَ: مَعِيَ سُورَةُ كَذَا ، وَسُورَةُ كَذَا ، وَسُورَةُ كَذَا - عَدَّهَا - قَالَ : (أَتَقْرَأُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ ؟) ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: (اذْهَبِي فَقَدْ مَلَكْتُكُمْهَا بِمَا مَعَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ) .

وقد رواه أهل السنن الأربعة أيضا .

وإنما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم لأنه في مقام الخاطب الذي يشرع له النظر إلى المخطوبة ، فنظر إليها : فإن أعجبته تزوجها ، وإن لم تعجبه غص طرفه عنها ، وهذا ما حصل في هذه القصة .

قال النووي رحمه الله :

" أَمَّا صَعَدَ: فَبِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ أَيْ رَفَعَ ، وَأَمَّا صَوَّبَ: فَبِتَشْدِيدِ الْوَاوِ أَيْ خَفَضَ " انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :
 " قَوْلُهُ : " فَصَعَدَ النَّظْرُ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ " دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ التَّزْوِيجَ لَوْ أَعْجَبَتْهُ " انتهى .

وقد استدل أهل العلم بهذا الحديث على جواز النظر إلى المخطوبة .

قال النووي رحمه الله :

" فِيهِ دَلِيلٌ لِحَوَازِ النَّظَرِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَتَأْمُلَهُ إِيَّاهَا " .

انتهى من " شرح مسلم " (9/212) .

وقال بدر الدين العيني رحمه الله :

" فِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ النَّظَرِ لِلْمَتَزَوِّجِ وَتَكَرَّارِهِ ، وَالتَّأْمُلِ فِي مُحَاسِنِهَا ، فَهَمَّ ذَلِكَ مِنْ

قَوْلِهِ: فَصَعَدَ النَّظْرُ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ " انتهى من "عمدة القاري" (144 / 12) .

وانظر جواب السؤال رقم : (120378) .

ثانيا :

أما لماذا لم يتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ، فلأنه لم يرغب فيها ، ولم يُرِدْهَا زوجة له ، وهل يلزم كل خاطب نظر إلى مخطوبته وتأملها : أن يتزوجها ؟!

إنما جُعِلَ هذا النظر ليقرر بعده : هل يتزوجها أم لا ؟

قال ابن الجوزي رحمه الله :

" (فَصَعَدَ النَّظْرُ فِيهَا وَصَوَّبَهُ) أَيُّ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِهَا وَحُطِّ النَّظَرِ إِلَى مَا دُونِهِ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي يَرَادُ

نِكَاحُهَا ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِحَوَازِ أَنْ يَرِيدَهَا ، فَلَمَّا لَمْ يُرِدْهَا ، طَاطَأَ رَأْسَهُ " انتهى من "كشف المشكل" (270 / 2) .

وينظر لمزيد الفائدة جواب السؤال رقم : (118102) .

والله تعالى أعلم .